«ماساكتاش».. حملة لفضح حالات التحرش والاغتصاب بالمغرب

مبادرة تحث النساء والفتيات على الجهر بمعاناتهن ومواجهة المجتمع

فضح المغتصِب يحرر الضحية

كان ولا يزال العنف ضد النساء من القضايا التي تشغل المجتمعات العربية ومن بينها المغرب، ورغم التشريعات المتتالية التي عملت على رفع الظلم ضد المرأة والمكانة التي أصبحت تتبوّأها في كافة الميادين، إلا أن ظاهرة العنف ضدها مستمرة بأدوات وطرق متعددة، بل امتدت لتصل إلى الشارع أيضا سواء على مستوى العنف اللفظي أو الجسدي.

محمد ماموني العلوي
صحافي مغربي

أطلقت ناشطات مغربيات حملة "ماساكتاش" أي "لن أصمت" على مواقع التواصل الاجتماعي، بهدف دفع النساء والفتيات اللواتي كن ضحايا للتحرش أو الاعتداء الجنسي إلى الجهر بمعاناتهن، ومواجهة المجتمع.

وتضم صفحة "ماساكتاش" على تويتر العديد من الشهادات المؤلمة من نساء تعرضن للاغتصاب، إما من أقاربهن أو من قبل آخرين، وأثنى متابعون للصفحة على شجاعة النساء اللواتي شاركن بقصصهن.

وأشارت حملة "ماساكتاش" أنها لن تنشر الأسماء الكاملة للمعتدين، وستكتفي بنشر الأحرف الأولى منها، مشددة على أنه في "حال وجود ضحايا مغربيات تعرضن للاعتداء أو الاغتصاب من قبل نفس الشخص، ستعمل بعد موافقتهن على ربط الاتصال بينهن".

وتعتبر الحركة أن الوقت حان من أجل الوقوف جميعا في وجه هذا السلوك المشين، الذي يهدد سلامة وأمن النساء المغربيات، عبر فضح المتحرشين بالشارع العام وعلى الملأ، مشددة على ضرورة إدانة سلوكيات المتحرشين الذين يمارسون هذه الجرائم دون عقاب نتيجة لثقافة الصمت السائدة، كما أنها ناشدت الرجال الذين كانوا شهودا على جرائم التحرش بعدم الصمت.

وحسب إحصائيات قدمها التقرير السنوي الأول الذي عرضه المرصد الوطني للعنف ضد المرأة يعد الشارع العام من الأماكن التي يمارس فيها العنف الجنسي ضد النساء بشكل كبير، حيث سجلت بها ما يقارب 66.4 في المئة من حالات العنف سنة 2014، فيما بلغت نسبة الاعتداءات الجنسية في بيت الزوجية 11.5 في المئة، في حين سجلت نسبة 5.9 في المئة من الاعتداءات الجنسية في أماكن العمل خلال نفس السنة.

ووعدت الناشطات اللواتي أطلقن الحملة أنهن سيتكلمن مستقبلا عن التحرش في الشارع، والتحرّش في العمل، من أجل تذكير الناس بحقهم في الدفاع عن أنفسهم، وحقّهم في أن يقولوا لا، وعدم أحقية تهجُّم أي شخص عليهم في الشارع، أو أن يوجه لهم بعض الألفاظ التي تسيء إليهم، أو أن يجبرهم مُشغلهم، لكونهم ما زالوا متدربين، على مسائل شخصية.

وشدد أصحاب الحملة على ضرورة أن تحرّر شهادات النساء الناجيات من الاغتصاب أو الاعتداءات الجنسية الضحايا، ولأن إثبات جرائم الاغتصاب والاعتداءات الجنسية ما زال صعبا جدا، سوف تفتح حملة "ماساكتاش " الحساب الخاص بها لتلقّي جميع شهادات النساء الناجيات على الخاص ونشرها مع حفظ سرية هويتهن".

ويرى جواد مبروكي، طبيب نفساني، في تصريح لـ"العرب"، أن الدعم النفسي يعد أمرا ضروريا لمساعدة ضحية التحرش أو الاغتصاب على التعبير عن شعورها جرّاء الاغتصاب ومساعدتها على عدم الشعور بالذنب والقبول بأنها قد وقعت ضحية عملية إجرامية وبالتالي مساعدتها على إعادة بناء شخصيتها ومنع تأثير التداعيات النفسية للاغتصاب عليها.

> حان الوقت من أجل الوقوف في وجه هذا السلوك المشين، الذي يهدد سلامة وأمن النساء المغربيات، عبر فضح المتحرشين

ورصدت "العرب" على موقع الحملة عددا من قصص الاعتداءات الجنسية على فتيات تراوحت أعمارهن بين 14 و25 سنة، روين ظروف اغتصابهن، حيث أن المغتصب يكون في بعض الحالات من نفس العائلة، وتعتقد الحملة أن "قصص العنف الجنسي تثير ردود فعل واسعة من الجمهور، وآراء حول ما عاشته الناجيات، وقد يكون من المؤلم الاطلاع على تعليقات بعض الأشخاص، خاصة أولئك الذين يقومون بإلقاء اللوم على الضحايا أو عدم تصديق الشهادات".

ويرى مبروكي أن التزام الصمت في حالة الاغتصاب الجنسي، له عواقب وخيمة على الصحة النفسية للضحية، ويشجع كذلك المغتصِبين المجرمين على مواصلة إجرامهم وبالتالي ارتفاع عدد الضحايا.

ويشار إلى أن حركة "ماساكتاش" هي النسخة المغربية لحركة "ميتو" (Metoo) العالمية، التي رأت النور في سبتمبر 2018، عقب ما أصبح يعرف إعلاميا بـ"قضية خديجة"، الفتاة التي تعرضت للاغتصاب الجماعي من قبل مجموعة من الشباب، تتراوح أعمارهم بين 18 و28 سنة، بمنطقة ولاد عياد في إحدى نواحي مدينة الفقيه بن صالح، وقد عمدوا إلى تشويه جسدها بعدد كبير من الوشوم، يحمل بعضها أسماء بعض من المعتدين.

وقالت ناشطات مغربيات يقفن وراء حملة "ماساكتاش"، التي تروي قصص العنف الجنسي على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، إنهن تلقين شهادات ذات حساسية كبيرة "تتطلب منّا أعظم الرّعاية للحفاظ على ثقة النساء اللواتي اخترن أن يثقن في مبادرتنا"، وأضفن "نود أن تكرس مواردنا المحدودة لجمع هذه الشهادات وتقاسمها مع الكل".

وأشارت معطيات صادرة عن وزارة العدل والحريات إلى أن أشكال العنف الجنسي، كالتحرش اللفظي والجسدي وجرائم الاغتصاب، شكلت فقط 8.6 في المئة من مجموع قضايا العنف ضد المرأة.

ويقول مبروكي لـ"العرب"، "في ما يتعلق بالتوازن النفسي ونمو الشخصية فإن فعل الاغتصاب، في حد ذاته يدمر الضحية إلى الأبد إذا لم يتم الاعتناء بها نفسيا على الفور مع اللجوء إلى العدالة، ولسوء الحظ ليس فقدان غشاء البكارة فقط ما يشكل خطرا بالنسبة إلى الصحة النفسية والاجتماعية للضحية".

ويرى بعض الناشطين في حقوق الإنسان أنه يتوجب على النساء والفتيات اللاتي يتعرضن للتحرش أن يفضحن المتحرشين في نفس اللحظة بالصياح والمناداة على المارة وتوقيف المتحرش في مكان الاعتداء عينه واستدعاء الشرطة.

ويوصي خبراء في حقوق الإنسان والقانون، بتمكين رجال الشرطة من التدخل في حالات العنف ضد المرأة في الفضاءات العمومية وذلك عن طريق منحهم الصلاحيات اللازمة للتفتيش والتوقيف، وتمكين النساء من التعبير عن العوامل التي من شأنها أن تحسن حياتهن اليومية وأمنهن في الفضاء العمومي، إلى جانب اعتماد شهادة المشتكية كدليل كاف لتجريم العنف.

ويشكل القانون المتعلق بمحاربة العنف ضد النساء، الذي دخل حيز التنفيذ يوم 12 سبتمبر 2018، بعد 6 سنوات من التشاور والنقاش العمومي، نقلة نوعية في مسار النهوض بأوضاع المرأة المغربية، إلا أنه ينبغي تعزيزها بانخراط فعلي لمؤسسات التنشئة الاجتماعية والتربوية والتعليمية والثقافية والإعلامية، في إطار مقاربة استباقية ووقائية تروم تأهيل المجتمع المغربي للاعتراف بدور ومكانة المرأة في المجتمع.

ومن الأبعاد الأساسية لهذا القانون، تنصيصه لاعتبار العنف ضد المرأة بسبب جنسها، أحد أسباب التشديد في العقوبات على الجاني، كما أن مرتكزاته تقوم على أربعة أبعاد تخضع لمعايير دولية، وهي البعد الوقائي والحمائي والزجري والتكفلي

وتعمل الدولة كل ما بوسعها لحماية النساء من كل اعتداء او تحرش، حيث حصّنَ الدستور المغربي المواطنين من جميع أنواع العنف الممارسة ضدهم، وقد عتبر الفصل 22 أنه "لا يجوز المس بالسلامة الجسدية أو المعنوية لأي شخص، في أي ظرف، ومن قبل أي جهة كانت، خاصة أو عامة، ولا يجوز لأحد أن يعامل الغير، تحت أي ذريعة، معاملة قاسية أو لا إنسانية أو مهينة أو حاطة بالكرامة الإنسانية. إن ممارسة التعذيب بكافة أشكاله، ومن قبل أي أحد، جريمة يعاقب عليها القانون".

مرض خطير دائم ومقدس

يمينة حمدي
صحافية تونسية
مقيمة في لندن

صدق من قال إن "البشر حيوانات اجتماعية بالفطرة"، فهم ينزعون إلى تبني الكثير من المعتقدات غير المنطقية، التي قد تبدو أقل أهمية من أن يتم التعليق عليها، بالرغم من أن لديها في بعض الأحيان، القدرة على أن تشكل شخصياتهم أكثر مما تفعله تجاربهم، وقد يصل تأثير تلك المعتقدات إلى مجالات كثيرة في الحياة، ولعل وصول البعض إلى حالة من الانغلاق والتعصب لتلك المعتقدات أمر لا مفر منه.

أستحضر هنا مقولة شائعة للكاتب الأميركي أوليفر وندل هولمز "عقل المتعصب يشبه بؤبؤ العين، كلما ازداد الضوء المسلط عليه ازداد انكماشه"، وهو بذلك يحثنا على أن ننظر إلى الصورة الكبرى التي تتكون منها أفكارنا ومعتقداتنا وكل المسلمات الراسخة في أذهاننا، لكن بطبيعة الحال، هذا يتوقف على الدائرة الاجتماعية التي ينتمي إليها الشخص، ومدى توفر مبدأ حرية الرأي والتعبير الذي يتيح له التحدث عن رفضه أو قبوله لتلك المعتقدات.

في الكثير من المجتمعات، ما زال الناس يطبقون تعاليم المعتقدات التي يتوارثونها عن أجدادهم وآبائهم بحذافيرها، بغض النظر عن مستواهم التعليمي أو الثقافي، رغم أنه بإمكانهم أن يكونوا سادة على عقولهم، ويضعون حدا لأي أفكار لا تعجبهم، ولكن للأسف معظمهم يجدون صعوبة في التخلص من تلك المعتقدات بعدما ترسبت في أذهانهم وأصبحت جزءا من أفكارهم الراسخة، والأسوأ من هذا كله، أنهم يكونون أكثر عرضة لما يسمى بـ"الدوغماتية المكتسبة"، بمعنى أن تملي عليهم تلك المعتقدات مواقف معينة تجعلهم ينغلون من الناحية الذهنية، وقد تترتب على ذلك تداعيات جسيمة على حياتهم.

الإيمان الراسخ ببعض المعتقدات، بدلا من التفكير والبحث فيها بالعقل، قد يقف حائلا دون فهمنا لذواتنا ومشاعرنا، وقد يحدث لنا أزمات وعقبات بالجملة في حياتنا اليومية والاجتماعية، وكذلك على مستوى خياراتنا السياسية وغيرها من الأمور.

والأمثلة كثيرة عن المعتقدات الثقافية الخاطئة المتجذرة في حياتنا، ومن بين هذه المعتقدات، ما نحمله من آراء وتوقعات عن بكاء الرجال والسياقات الاجتماعية التي يجب على الرجال عدم إبداء مشاعرهم فيها صراحة، لأنها يمكن أن تهدر رجولتهم، مثل هذا الأمر يحد من عدد المرات التي يستسلم فيها الرجال للبكاء، رغم جدوى الدموع ودورها في التعامل مع الأحداث المثيرة للانفعالات، والتنفيس عن مشاعر الحزن التي بداخلهم.

ثمة رابط بين نظرة الرجال للبكاء وبين سلوكياتهم وتصرفاتهم في المواقف الصعبة، ونسبة كبيرة من الرجال ما زالوا يميلون إلى كبت مشاعرهم ويجاهدون لإخفائها عن الآخرين، ولذلك فمعدل الانتحار بين الرجال أعلى بالمقارنة مع النساء.

تبدو العلاقة بين الانتحار والاضطرابات النفسية، كالاكتئاب وتعاطي المخدرات والكحول واضحة تماما، لكن العديد من حالات الانتحار تعزى أيضا إلى قمع المشاعر وعدم التعبير عما بالداخل من ألم، أو البكاء علنا، حتى في أكثر الظروف قهرا.

اعتادت بعض الأسر تربية أطفالها الذكور على فكرة أن "الرجال لا يبكون"، وبهذا فهي تنشئهم منذ الصغر على ثقافة كبت المشاعر، وإذا حدث كبت لهذه المشاعر لسنوات طويلة، فإن هذا سيتجلى في نهاية المطاف بطريقة مأساوية. وقد لاحظت بعض الأبحاث أن الرجال أقل استعدادا للفضفضة، لكن هذا لا يعني أنهم لا يعانون من مشاكل نفسية تعادل أو تفوق ما تعانيه النساء، غير أنهم أكثر تحفظا في التعبير عن مشاعرهم، وهذا الأمر يزيد من مخاطر إقدامهم على الانتحار.

> الإيمان الراسخ ببعض المعتقدات، بدلا من التفكير فيها بالعقل، قد يقف حائلا دون فهمنا لذواتنا ومشاعرنا

تقول سوزان شويزر، وهي باحثة متخصصة بدراسة العواطف في جامعة كامبريدج "عندما تحاول قمع شعور ما، كما هو الحال عندما تحاول قمع فكرة ما، يمكن أن يكون لذلك تأثير عكسي. ومن المرجح أن يعود هذا الشعور بقوة أكبر في وقت لاحق".

ومن المؤسف أن معظم الأسر لا تدرك أن الأفكار والمعتقدات التي يتم غرسها في الأطفال منذ الصغر هي التي تسطّر حياتهم وتيسرها وتسيّرها، وقد ترتبط بعض المعتقدات بالكثير من الإيجابيات، مثل الرضا بشكل أكبر عن الحياة، وتراجع نسبة المشاعر العدائية، واكتساب علاقات أفضل مع الآخرين، وانخفاض معدلات الاكتئاب والقدرة على تنظيم العواطف والتحكم فيها، وصحة جسدية وعقلية أفضل وعمر أطول، وفي المقابل، لا تصنع بعض المعتقدات فروقا كبيرة، لأنها لا تعكس في الغالب القدرة على تعزيز علاقات جيدة مع الآخرين، كما لا تساعد على اتخاذ قرارات سليمة أو تمنح ذلك الإحساس الداخلي بالسلام النفسي.

وإذا أردنا أن نضمن مستقبلا مزدهرا وطويلا لأبنائنا، يجدر بنا أن نهتم بتعليمهم كيف يعبرون عن مشاعرهم من دون خجل، ونترك لهم المجال لاختيار الحياة التي يرغبون فيها، وليست الحياة التي نرغب فيها نحن أو يريدها المجتمع.

نصائح

كيف تحمي المسن من السقوط

يعد السقوط من المخاطر، التي يتعرض لها كبار السن بصفة خاصة، وذلك بسبب تراجع القوة الجسدية وتدهور القدرة على التوازن. ونظرا لأن معظم حالات السقوط تقع في المنزل، فإنه ينبغي تهيئة المنزل لكبير السن بحيث يكون آمنا له ويحميه من السقوط.

وقال إرهارد هاكلر، من الرابطة الألمانية لمساعدة كبار السن، أنه إذا كان المُسن يتناول عدة أدوية، فيتعين عليه التحدث إلى الطبيب حول قدرته على الحركة، مشددا على ضرورة استشارة طبيب العيون بانتظام لاكتشاف أمراض العيون في الوقت المناسب.

وأضاف هاكلر أن حالات سقوط كبار السن تحدث غالبا في المنزل بنسبة تصل إلى 90 في المئة، مشيرا إلى أن حذاء المنزل المناسب يعد من التدابير المهمة للحماية من السقوط؛ حيث يجب أن يوفر الحذاء دعما مناسبا للقدم.

ويمكن أيضا ارتداء الجوارب ذات النعال غير القابلة للانزلاق أثناء النوم للذهاب بها إلى المرحاض. ومن المفيد تعليق المقابض ومساند للذراع في الأماكن الرطبة مثل الحمام، في حين تمكن الاستعانة بمقعد الدرج في حال عدم التمكن من صعود الدرج أو عند الحاجة إلى مساعدة شخص آخر، فضلا عن إمكانية الاستعانة بمشاية كبار السن.

ومن التدابير المهمة أيضا تحسين إضاءة المنزل في جميع زواياه وطرقه وخاصة المؤدية إلى المرحاض أو الدرج.

وتلعب أرضية الممرات دورا مهما في حماية كبار السن من السقوط؛ لذا يتعين ألا تكون ناعمة، مع مراعاة إزالة كل ما قد يعيق المُسن أثناء المشي كالأسلاك والكابلات، كما ينبغي ألا تكون حواف السجاد مرتفعة، ويمكن تأمين الأرضية بمواد مانعة للانزلاق ومفارش لاصقة.